

مؤسسة الشيخ عمي سعيد ثقافة . تربية . تراث

الأيام الدراسية العلمية:

من الشيخ عمي سعيد بن علي الجري [ت 927 هـ / 1521 م]
إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد [ت 1425 هـ / 2005 م]

المحاضرة الرابعة:

منهج الاتباع والإبداع
في علاقة نخب الخلف بنخب السلف

إعداد:

أ. حجاج قاسم بن حمو⁽¹⁾

1- أ. قاسم بن حمو حجاج، ليسانس في العلوم السياسية، ماجستير من معهد العلوم السياسية في موضوع العالمية والعولمة، أستاذ سابق بالتعليم الثانوي، حالياً أستاذ العلوم السياسية بجامعة ورقلة.

باسم الرحمن الرحيم

مقدمة

يقول الشاب الوطني النهضوي رمضان حمود:

"ليس التجديد آلة نهدم بها ما بنته أسلافنا، ولكنه قوة غير متناهية نرمم بها الماضي ونمهد بها المستقبل".
 "إن التجديد الصحيح لحد الآن لم يوجد في الشرق، (...)، إذ لو وجد التجديد المطلوب لما رأينا الشرق في هاته الحالة تسمع فيها جعجعة ولا ترى طحينا" (مئوية ميلاده الأولى 1906-2006م).
 انطلاقا من إحياءات الورقة التعريفية بالملتقى:

1- استوقفتني ديباجة الورقة التعريفية بإشكالية الملتقى لتضمنها مفاهيم: النهضة، الترقية، التطوير، التخطيط الإستراتيجي الشامل (من دون ذكر لمفاهيم: التنمية والإصلاح والتغيير وغيرها):
 - "...كانت نهضة شاملة"؛

- "...أهم أقطاب النهضة العلمية والاجتماعية الحديثة"؛

- "...من أجل ترقية الأمة فكريا واجتماعيا"؛

- "إبراز دور المجالس العرفية في نهضة مدن وادي مزاب وترقيتها"؛

- "...ساهرا على تطوير أنشطتها وهياكلها".

2- انطلاقا من أحاديث رسول الله (ص): "يأتي على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة دينها" وقوله (ص): "إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة"، وغيرها من الآثار التي تشيد بدور العلماء في التجديد والنهضة.

3- انطلاقا من تهافت الحديث محليا ووطنيا وحتى دوليا عن "الإصلاح" و"التغيير" في ظل العولمة (النيوليبرالية) المفارقة الراهنة وفي أفق إقامة الهياكل التحتية لمجتمع المعلومات واقتصاد المعرفة (أزمة الانتقال).

4- حقائق التاريخ الخاص والعام والواقع تشيع أن رواد الإصلاح والنهضة والثورة سرعان ما يصبحون رواد جمود وركود ومحافظه، ربما انقلبت المعادلة.

5- عدم اتفاق نخب المجتمع على مضمون التجديد المنشود وأولوياته واستراتيجياته وآلياته ومنطلقاته. كما أن الورقة تتحدث عن "وحدة الرسالة ووحدة المنهج"؟!

6- وردت عبارة "التأسي والاعتبار بجهود السلف ومآثرهم وربط الصلة بين الأجيال" فكان علي أن أتساءل:

من هم السلف الصالح؟ بالنسبة لمن من الخلف؟

للعلم، الدعوة جاءتني بينما كان ينعقد ملتقى حول فكر وأعمال الشيخ حمو فخار بنفس البلدة خلال جويلية 2006).

7- بالأمس بعد صدمة الاستعمار والتحديث الأوروبيين تحدثت فئة من نخب مجتمعاتنا عن النهضة والإصلاح، واليوم، مع صدمة العولمة و مع بدايات ثورة العلوم والتكنولوجيات الجديدة وعودة الاحتلال المباشر والحروب الداخلية، أصبحت النخب تعيش حالة أشبه ما تكون بارتحال جماعي إلى عصر النهضة ومقولاته ورهاناته، كل بطريقتها: إما تمجيد واجترار، أو استيعاب، ونقد، فإبداع.

8- الحضارة = إبداع تراكمي متعدد القوميات.

الحديث عن الحضارة والنهضة والتجديد حديث عن إبداعات بشرية متلاحقة ومتلاقحة ومتعددة القوميات، تجاوزت الزمان والمكان والخصوصية الثقافية والقومية التي أبدعتها (النموذج الإباضي الوسيط والحديث)، (عمي سعيد الجربي + اطفيش +...آخرون).

فالفعل الحضاري مشروع هائل ينجزه عدد من المهندسين المبدعين ولا يحتكره جنس أو قوم أو خصوصية. إن أصالة الانتماء الحضاري تعني الشعور المتواصل بالانتماء الحضاري بالرغم من النكسات والأزمات وتقلبات السياسة.

9- تسجيل الرحيل المتتالي للجيل الأول والثاني لرجالات النخبة الحديثة الذين طبعوا بفكرهم وإنجازاتهم - وإخفاقاتهم أيضا - مسيرة المجتمع ومنه رحيل أقطاب التنافس النخبوي الحديث في مزاج؛ مما خلف فراغا قياديا مربكا، في ظل غياب معالم للسير المستقبلي أمام نخب جيل الاستقلال الوطني، مما يعكس حالة إرباك شبه كلي للمنظومة الاجتماعية الإباضية المزايية بالذات (خاصة خلال سنوات 1981 - 2006م).

النخب في مواجهة إشكالية الاتباع والإبداع للنماذج المجتمعية في التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر:

- النموذج المجتمعي - الدولي الحضاري التأسيس الأول: (النبوي والراشدي).

- النموذج المجتمعي - الدولي الإمامي : إمامات الكتمان والشراء والظهور والدفاع : قرون التأسيس للدعوة والدولة الإسلامية وفق الرؤية الإباضية لتصحيح وإصلاح انحراف الحكمين الأموي والعباسي آنذاك.
- النموذج المجتمعي - المدينة - الدولة (ما بعد النموذج الرستمي : في ظل نظام العزابة).
- النموذج المجتمعي - الدولي في ظل الحكم الاستعماري الفرنسي.
- النموذج المجتمعي - الدولي في ظل الدولة الجزائرية المستقلة.
- النموذج المجتمعي - الدولي المستقبلي (في ظل الحديث عن الدولة الشبكة والحكومة الإلكترونية ومنه الإدارة والديمقراطية والتجارة الإلكترونية...؟!)

* نخب اليوم أمام تحدي محاكاة وتجاوز نماذج نخب السلف:

- إشكالية استكشاف وتحرير منهج الاتباع والإبداع للفكرة - المشروع من خلال استيعاب واستلهاهم وتجاوز نماذج:
- أجيال نخبة التأسيس الفكري (تجربة الإمام جابر وأبو عبيدة وعبد الله بن إباح).
- أجيال نخبة الإنجاز الإمامي (إمامات عمان وإمامتي طرابلس وتيهرت).
- أجيال نخبة الإنجاز العزابي - الأعياني : (نظام العزابة ، مجلسي عمي سعيد وعبد الرحمان الكرثي..).
- أجيال نخبة الإنجاز الهجين -تقاليدي وحداثي- في إطار الدولة الوطنية (أزمة وتحديات النخب الجديدة في تمثل الفكرة - المشروع في سياق ديناميكي متعولم).

* إشكالية المداخلة:

- تعاقبت أجيال المجددين في تاريخ المجتمع الإباضي المزابي الألفي ، لتترك بصماتها المشهودة في مسيرته الألفية، بما خلفته لأجيالنا الحاضرة من أعمال فكرية وإنجازات مادية شاهدة على نموذج حضاري مصغر؛
- إنساني ، تعددي الجوهر؛
- إسلامي الرسالة؛
- إباضي الرؤية؛
- مزابي التجربة والإنجاز (ضمن جدلية التفاعل الأقوامي الشمال الإفريقي عامة والهوية الجزائرية خاصة).

• واليوم تحتاج منا تلك المسيرة الألفية -رغم ما تخللها من إنجازات وأزمات ومحن وتحديات- إلى وقفات لاستذكار وتثمين واستثمار أرصدها، علنا نسهم بدورنا كجيل في رسم معالم السير لصناعة مستقبل المجتمع في أفق ألفية جديدة، تبدو مليئة بالتحديات غير المسبوقة في ظل صحوة دينية عالمية و عولمة مفارقة وديناميكية تحديث مع بناء مجتمع المعلومات واقتصاد المعرفة ممثلة اتجاهها كوكيبا مستقبليا ثقيلًا.

• فبالأمس خلال القرن العشرين، شهد المجتمع تغيرات حضارية -كجزء من ديناميكية نهضوية محلية، تحاكي أخرى تحديثية عالمية- لم تشهد الأجيال السابقة مثيلا لها، لكن من مميزاتها انقسام نخبة المجتمع في رؤيتها، لهويتها، لتراثها، لسيرها، لنظمها الألفية، لمستقبلها؛

• و اليوم مع بداية القرن الواحد والعشرين، ما يزال لسان حال النخبة والجمهور العام اليوم - مع الرحيل المتدرج لنخبة الجيل الثاني من القيادات الحديثة - يردد متسائلا :

1- هل من تقويم موضوعي، نقدي لمسيرتنا الألفية، يمكّن من استشراف علمي للمستقبل؟

2- على ماذا نحافظ كنخب أجيال الخلف، من تراث وميراث نخب أجيال السلف؟

3- وماذا نبدع ونضيف - كأجيال خلف- لما أنجزت نخب أجيال السلف؟

بعبارة أخرى، كيف سيتم لنخب أجيال الخلف (اليوم وغدا) التأسي والاقتداء بنخب أجيال السلف؟

أتقتدي بها في كل صغيرة وكبيرة، مقلدة لها في الثوابت والمتغيرات على السواء، ومن ثمة تقدر اجتهاداتها البشرية التي بلورتها لمواجهة تحديات ومشكلات أزمنة ماضية، وقد تسقط في فخ تبرير وتكرار أخطائها؟

أم أن عليها أن تبحث وتعقل بوعي، وتنتقي وتؤصل وتنقد، ثم تتجاوز وتبدع وتبتكر؟

أي كيف يمكن لأجيالنا الحاضرة والمستقبلية الشروع في نهضة تجديدية من خلال صياغة معالم عمليتي الاتباع لجيل السلف (في الثوابت) والإبداع من طرف جيل الخلف (في المتغيرات)، حتى لا تضيع الرسالة، فتضل الأجيال الجديدة الطريق إلى سعادتي الدنيا والآخرة؟

4- هل التوتر الحضاري الراهن لأمتنا الصغيرة والكبيرة (الوطنية والإسلامية)، مصدره أزمة في علاقة نخبة بالإسلام فهما وتنزيلا، أم مصدره أزمة في علاقتها بديناميكية الحداثة والتحديث العالمية فهما وتنزيلا؟ أم يكمن في العلاقتين معا؟

5- إذا سلمنا مع علماء الاجتماع والحضارة:

أن أفراد النخبة هم رواد وصناع الحضارات ، وهم أيضا أحد أهم أسباب انهيارها ؛

وأن لكل عصر نخبته ؛

وأن لكل مجتمع نخبته ؛

وأن المجتمعات المعاصرة تشهد حراكا اجتماعيا متناميا يؤدي على حركية نخبوية جيلية ، فكرية ، سياسية سريعة نسبيا مقارنة بالأجيال السابقة ،

فما هي مسؤولية النخب عن الأزمة الانتقالية الراهنة؟ وعلى أي النخب يقع عبء القيام بالنقلة الحضارية المنشودة؟

* الفكرة المركزية في المداخلة:

الفكرة المركزية من وراء هذه المداخلة هي : تكملة الفكرة المركزية من وراء مداخلتنا في ملتقى فكر وأعمال الشيخ حمو فخار (صائفة هذا العام) :

فالفكرة المركزية من المداخلة المذكورة كان : تخلص فكرة وحركة "الإصلاح الحديثة في مزاب" من الشحنة الأيديولوجية والسياسية والسيكولوجية الزائدة التي رافقتها خلال القرن الماضي ، حيث شكلت حالة من الاستقطاب "الحزبي" الاجتماعي والنفسي الحاد بين المؤيدين والرافضين. ومنه يمكن تبيين جميع الأفكار والأعمال النهضوية -التجديدية - الإصلاحية التي بادرت بها النخب القائدة في المجتمع الإباضي المزابي الحديث والمعاصر.

ألم يعد الجميع منخرطاً بشكل أو بآخر ، مريداً أو مكرهاً في عملية التحديث والإصلاح ولو بعد حين. أما الفكرة المركزية لهذه المداخلة فهي : أن النخب الإباضية المزابية المعاصرة لم تعد تُستقطب من منظور مسرف في التسييس والأدلة بين فئة مؤيدة وأخرى رافضة لفكرة وعملية "الإصلاح والتحديث ضمن الأصالة" بل باتت في الغالب تستقطبها - رغم تجدد مقاومات التغيير - حالات من الاختلاف في تصور وتيرة وعمق وأولويات وآفاق العملية التحديثية...الخ.

ففتنة متنامية من تلك النخبة تتجه فيما يبدو نحو التأكيد على نوع من الرؤية والممارسة البراغماتية التي لا تزايد وتجادل كثيرا في موضوع التحديث والإصلاح من زاوية أيديولوجية نظرية مجردة ، مميزة بين الثقافي الديني وبين السياسي الإجرائي (الآلي ، الواسائي ، العملي) من العملية التطويرية :

(التنمية = التحديث + الخصوصية) لا (التنمية = التحديث + التغريب).

* الهدف من المداخلة:

محاولة استكشاف وتحرير منهج الاتباع والإبداع ، في علاقة نخب الخلف بنخب السلف ، في إطار المسيرة النهضوية التحديثية للإباضيين المزاييين الجزائريين المعاصرين.

الفصل الأول: إشكاليات ورهانات المصطلحات الأساسية: النخبة، النهضة والتجديد:

* أي تعريف لمصطلح النخبة؟

- النخبة اصطلاحاً: "أية جماعة من الأفراد معروفة اجتماعياً، ولها خصائص وسمات ذات قيمة معينة، كالقدرة العقلية أو "الوضع الإداري" أو المكانة المرموقة، أو القدرة العسكرية، وهي خصائص ترتبط بدرجة عالية بقدرة على الهيمنة وبسط النفوذ".
- أو هي: "جماعة صغيرة في مجتمع ما، وفي ظرف تاريخي معين، تحمل هذه الصفة، نظراً لأنها تتمتع بأهمية تعطيها لنفسها أو يعطيها لها الآخرون".
- النخبة كلمة معبأة بمعاني سلبية وأخرى إيجابية: مجتمع نخبوي، حزب نخبوي، حركة نخبوية، تيار سياسي نخبوي...
- فالمعنى السلبي أو التحقيري للنخبة = نظام أو حالة امتياز أقلية على الأغلبية = حالة غير ديمقراطية، مساواتية = حالة حكم أقلية = حكم أوليغارشي.
- تقدم النخبة = L'élite كمقابل للجمهور = La masse.
- أما المعنى الإيجابي للنخبة يرمز إليها بمعاني: النظام والعقلانية والحكمة والتميز والذكاء والثقافة والقيادة والسلطة والنفوذ...
- مقابل: مصطلح الجمهور الذي يرمز لمعاني: الفوضى والعاطفية والغوغائية والدهماء والجهل والأنانية والسطحية والبساطة.

ما هي المصطلحات الدالة على النخبة في ثقافتنا؟

- الشيخ (المشيخة - المشايخ)،
- ليمام (الإمام)،
- الداعية، المرشد،
- العلماء (العالم - أنعزام)،
- العزابي،
- آت دسات،
- إزعلاك، أمقران،
- أهل الحل والعقد،
- الخاصة مقابل العامة،

- الأعيان،
- أمصوردو،
- إيرو،
- الطالب،
- الضامن،
- المنتخب،
- الإطارات،
- المثقف،
- الجامعي،
- المسؤول...الخ

النخبة: مدخل عام للمصطلح وقضاياها.

- مفهوم النخبة أو الصفوة وعلاقته بالمفاهيم الأخرى كمفاهيم: القيادة، الطبقة، القوة، القدرة، السلطة، الهيمنة، النظام السياسي، التنمية...
- الاقتراب أو التناول (L'approche) المنهجي النخبوي: مدرسة التحليل النخبوي.
- أصناف النخبة: دينية، مثقفة، إدارية، عسكرية، سياسية، مالية، نسوية، رجالية؟
- أهمية النخبة في المجتمعات وصنع التاريخ: نهضوي، قيادي، ريادي، تنويري، ثوري، إصلاحي، تحديثي، تنموي...
- أدوار النخبة في المجتمع: الدور السياسي، الأيديولوجي، الاجتماعي، الاقتصادي، العلمي، التعليمي، التربوي، الروحي، الديني، الإداري، التنظيمي، الثقافي، الإعلامي، العسكري...الخ.
- النخبة: مدخل عام للمصطلح وقضاياها:
- أي النخب أصلح للحكم والقيادة السياسية؟ (كل مفكر يرجح واحدة).
- النخبة وممارسة السلطة: شوري، ديمقراطي، تسلطي، شمولي، ديكتاتوري؟
- فلفريدو باريتو: "كل شعب تحكمه نخبة".
- لكن الفرق في كيفية وأسلوب التغيير والقيادة والحكم.

- كيفية ممارسة النخبة تأثيرها على المجتمع : بالتزام الموضوعية والعقلانية؟ بالتحزب والتحيز؟ بالحياد؟ باللامبالاة؟ بالإفساد والتخريب؟
- علاقة النخبة بالعلم، بالدين، بالسلطة، بالمال، بالخارج (عمان وبلاد المشرق وبلاد الغرب) بالعولمة، بالمؤسسات العرفية والمؤسسات الحديثة؟ بالعرش والقبيلة؟
- هل نحن في ظل العولمة وبدايات بناء مجتمع المعلومات إزاء نهاية النخبة بمفهوم ما؟

*إشكالية ورهانات المصطلحات النهضوية:

وقفه مع إشكالية المفاهيم ذات الدلالة النهضوية والمفاهيم المقابلة :

- الإصلاح
- التجديد
- التغيير (السلمي / اللاعنفي)
- الازدهار
- التقدم (التقدمية)
- التنوير
- الإفساد
- الركود
- الجمود
- الانحطاط
- التأخر (الرجعية)
- الظلامية
- التنمية
- التحديث (غير التغريب)
- الاجتهاد والإبداع
- النهضة
- الإحياء (البعث)
- التحضير (الحضارة)

- التخلف
- التقليد
- الاتباع
- الركود
- الإمامة
- التوحش
- الحداثة
- التطوير / التشييد
- التحرير (التحرر)
- الاستقلال
- الثورة
- المعاصرة
- التراث / التقاليد
- التدمير / التخريب
- الاستعباد
- التبعية
- المحافظة
- السلفية / الأصالة

*** أي تعريف لمصطلح النهضة؟**

- هناك اضطراب مفهومي في تحديد مدلول النهضة ومقوماتها، ويعود ذلك في معظمه إلى غلبة الأيديولوجيا على المعرفة، وإلى عدم الإدراك الكافي لسياق التحولات الدولية وموقع المسلمين فيها ودورهم وطبيعة تفاعلهم مع العالم.
- وسبب عدم تبلور مفهوم شامل للنهضة، عدم التمييز بين خطوات سياسية أو اقتصادية تندرج في سياق عملية إصلاحية، وبين مسار عملية تنموية متكاملة تراكمية مستمرة تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الحضارية للنهضة كافة.

- النهضة هي حالة وعي بضرورة التغيير والتحديث والتقدم. وهي مسار عملية تنموية متكاملة.
- وللتنمية مؤشرات اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية وإنسانية. وهي تعرف ببساطة بأنها عملية توسيع الخيارات أمام الإنسان فردا وجماعة باعتباره في نفس الوقت محركا وموضوعا لتلك العملية النهضةية.
- إذا، النهضة قرينة للتنمية، فلا تتحقق الأولى من دون إنجاز الثانية، والتنمية لا تتم إلا في إطار النهضة.
- وقفة مع مصطلح التجديد الإسلامي وقضاياها؟
- يعني "التجديد" اصطلاحا: البعث والإحياء لثوابت الدين وأصوله.
- مع التطوير في فقه الفروع أو فهمه، ومواكبة لمستجدات الواقع المعيش المتغير.
- مع المحافظة - في ذات الوقت - على صلاح وصلاحية الثوابت والأصول الدينية لكل زمان ومكان.
- التجديد في المنظور الإسلامي: تجسيد للوسطية الإسلامية، بحيث يتم الجمع، بين "اكتمال الدين" وبين "تجديد الدين" والربط بين "السلفية" - بمعنى العودة بالتدين إلى أصول الدين ونبأه الجوهريّة والنقية - وبين "التجديد" في الفروع وفي المتغيرات.
- .. ففي السلفية تجديد.. وفي التجديد سلفية..
- وكل المجددين - في مسيرتنا الحضارية - كانوا سلفيين في الأصول، ومجددين في الفروع.
- فالثابت في الشريعة هو فلسفة التشريع، والقواعد والنظريات، والأحكام التي قننت للثوابت مثل القيم والحدود.
- أما المتغير فهو موضوع الفقه وباب الاجتهاد والتجديد والإبداع مفتوح فيه أمام العقل البشري، ليواكب متغيرات الواقع ومستجدات الزمان والأحوال والنيات والعادات.
- من هو المجدد؟: "من يجدد لها دينها"؟
- اللفظة "من"، تصدق على الفرد والجماعة.
- والمجدد: هو من يقوم بإحياء ما انطمس من معالم الدين ودرس من جوانب الحق العلمية والعملية.
- هناك من حدد قائمة بأسماء المجددين وهناك من أطلقها:
- ❖ فهناك من قصره على علماء فرق أهل السنة والجماعة،

- ❖ وهناك من قصره على أئمة أهل بيت الرسول ،
- ❖ وهناك من قصره على المشايخ والأئمة الإباضية ،
- ❖ وهناك من قصره على شيخ دون آخر داخل الفرقة الواحدة.
- ❖ تصحيح مفاهيم خاطئة عن التجديد :
- التجديد إحياء للأصول وليس ابتداعا.
- التجديد إبداع في الفروع وليس تبديد لجوهر الدين.
- التجديد جهد ملموس وليس ادعاء.
- التجديد رعاية للكليات والمحكمات.
- التجديد جهد تراكمي يتواصل فيه عطاء اللاحقين.

* آفاق التجديد المطلوب في واقعنا المعاصر:

- أولا : التجديد عام للأمة ، لا لجماعة معينة في إقليم معين.
- ثانيا : التجديد جهد متصل عبر التاريخ ، ويحدث في كل وقت يضعف فيه الخير ، ويكثر الشر ، وتنطمس معالم الشرع.
- ثالثا : الانتفاع بالتجديد لا يقتصر على مؤسسة أو فئة معينة بل يمتد لكل الأمة بكل فئاتها : الشباب والشيخوخة ، الذكور والإناث ، الموظفون والعمال.
- رابعا : التجديد ليس في جزئية واحدة بل في كل الدين ” دينها “.
- ولفظه دين تعني أمرين :
- الدين بمعنى الوحي المنزل : وهذا قد اكتمل.
- والدين بمعنى الكسب البشري : وهذا الذي يشمل التجديد.
- هو بالأحرى : تجديد للدين (ككسب بشري فهما وتنزيلا) لا تجديد للدين (كنصوص محفوظة معصومة منزلة مقدسة)

* مجالات التجديد الإسلامي المعاصر:

- ❖ أولا.. التجديد في مجال العقيدة.
- ❖ ثانيا.. التجديد في علوم التزكية.
- ❖ ثالثا.. التجديد في مواجهة التحديات المعاصرة عبر الاجتهاد.
- ❖ رابعا.. التجديد في الفكر.

❖ خامسا: التجديد في المؤسسات والوسائل.

❖ سادسا: التجديد في التفاعل الحضاري (الدفع / التدافع).

* أهم الضوابط المعاصرة في التجديد:

- أن يكون تخصصيا.
- أن يكون جماعيا.
- أن يجمع بين الانتقاء والإنشاء.
- أن يجمع بين علوم النص وعلوم الواقع المتغير
- أن يزاوج بين النصوص والمقاصد

من معالم منهج التجديد الإسلامي المعاصر حسب د. محمد عمارة:

- ❖ نقد ورفض الجمود والتقليد.
- ❖ التجديد والإصلاح بالإسلام .
- ❖ الوسطية الإسلامية.
- ❖ العقلانية المؤمنة.
- ❖ الوعي بسنن الله الكونية .
- ❖ الدولة - فى الإسلام - ”مدنية إسلامية“ لا كهنوتية ولا علمانية .
- ❖ الشورى ملزمة لخاصة وعامة الأمة.
- ❖ العدالة الاجتماعية.
- ❖ إنصاف المرأة.

* أهم خصائص العقل النهضوي / التجديدي:

- العقلية النهضوية / التجديدية / الإصلاحية: ذهنية مؤمنة، عقلانية، نقدية، استقلالية، اجتهادية، تمقت التبعية والتقليد والجمود والدوغماتية النصية، تستلهم من الإسلام عقلانياتها ومن حضارة العصر إمكانات الاستمرار والتحديث كديناميكية عالمية.
- رؤية للذات والآخر المجتمعي والحضاري = رؤية للعالم، للدين، للعقل، للتاريخ، للدولة، وللسياسة...

* إشكالية ورهانات المصطلحات النهضوية:

ماذا يُقصد بمعنى النهضة والإصلاح والتغيير في سياقنا المزايي؟

- خلال تجربتي مع النداء - المبادرة لسنة 2003م وجدت نفسي أمام تحدّ مفاهيمي وحساسية تعبيرية:
- ❖ أيّ كلمات أنتقي لدعوة نخب المجتمع إلى تحمل مسؤولياتها من خلال القيام بجهودها في: التغيير، التطوير، التنمية، الترقية، الإصلاح، التحديث، التثوير، النهضة...الخ
- ❖ إذا: من التجني على بعضنا البعض أن يجزم أحد بوجود معنى محدد واحد لمفهوم الإصلاح والنهضة والتغيير في سياقنا المجتمعي المحلي وبالذات لدى النخب المحلية.
- ❖ ولعل من أسباب أزمة النخب في مجتمعاتنا عدم الاتفاق علميا حول تحديد أسباب الأزمة أو الخلل والفساد في المجتمع والدولة والأمة.
- ❖ ومن تلك الأسباب عدم الاتفاق المفاهيمي حول المضمون المعرفي والعملي لا الإيديولوجي لمفاهيم النهضة والتغيير والإصلاح.
- ❖ فهناك من يريده ثورة وانقلابا على الأوضاع القائمة من القمة إلى القاعدة.
- ❖ وهناك من يريده إصلاحا شكليا وتجميليا للواقع القائم.
- ❖ وهناك من يريده ترقية للأداء الجماعي يقوم على أسس علمية منهجية هادئة، متدرجة، مفكرا فيها، ومتشاورا حولها.
- ❖ هناك من يريده تطويرا شاملا للشخصية وللأشخاص للمؤسسات وللنظم وللقيم.
- ❖ هناك من يريده تغييرا في الهياكل الإسمتية والبناءات واللوائح دون الذهنيات والسلوكات والبرامج والتوجهات...
- ❖ هناك من يريد التغيير ويتوجس من مواجهة مقاومة التغيير ولا يعرف كيف يتعامل معها.
- ❖ هناك من يريد التغيير ولكن دون رؤية ناقدة للذات ولما يضع استراتيجية واضحة الأهداف والوسائل والآجال.
- ❖ وهناك من ينتظر الضوء الأخضر من هذه الجهة أو تلك أو ذلك الزعيم أو ذاك ليبدأ التجديد.
- ❖ هناك من قد بدأ منذ مدة في تقديم بدائل تغييرية ويحقق خطوات واعدة معتمدا استراتيجية الهدم الخلاق (شومبيتر)
- ❖ هناك من يريد أن يفرض التغيير على المجتمع وفق أجندته الخاصة محركا فطنا ومستخدما نفوذه ومجربا سيناريوهات لا تمت إلى قيم ومصالح الغالبية العظمى لأبناء المنطقة.

❖ وهناك وهناك وهناك...

* تعريف الحركة النهضوية في السياق الإباضي المزابي: ما الحركة النهضوية - التجديدية - الإصلاحية؟
من وجهة نظرنا هي:

”تلك الحركة الاجتماعية التي قادتها قديما وحديثا وتقودها اليوم، النخب الطامحة للتجديد الاجتماعي والحضاري ضمن الخصوصية الإباضية المزابية تمثلا لروح ومقاصد الإسلام ومواكبة لمتطلبات العصر“.

الفصل الثاني: معالم في استكشاف منهج الاتباع والإبداع وتحريرها:

* معالم في تحرير منهج الاتباع والإبداع:

من خلال استقراء الخبرة والتجربة الإباضية المزابية خلال القرن الأخير، سأحاول تقديم مجموعة من المعالم الفكرية والعملية لتحرير منهج الاتباع والإبداع، لكن على ضوء معرفتي بخصائص الإسلام والعصر.

* مفهوم المنهج ومكوناته:

❖ المنهج: مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف. وينطلق أي منهج من موقف فلسفي عقدي يستبطن تصورا معيناً للعالم والإنسان والوجود.

❖ مكونات المنهج:

1) الرؤية: التصور الفلسفي للأنا، للمثال، للنموذج: أي للإسلام أو المذهب أو الجماعة لدى نخب السلف ونخب الخلف.

2) الإستراتيجية: الهدف الإستراتيجي، والخطة الإستراتيجية: وهي محكومة بالموارد المتاحة وموازن القوى، مع تحديد الأهداف الإجرائية.

3) المفاهيم - المفتاحية: أساس الخلفية النظرية وأدوات الفكر والإنجاز.

4) الآليات والأساليب والنظم والمؤسسات: التي تمكن من تجسيد الفكرة - المشروع.

5) البيئة أو الظروف والعصر: حضارة زراعية، صناعية، ما بعد صناعية أو فائقة التصنيع...

* الأسئلة الملحة الكبرى للنهوض الحضاري:

من نحن؟ = الهوية: الثوابت والمتغيرات

أين نحن؟ = الحصيلة والتقويم

ماذا نريد؟ = المهمة والدور

أين نتجه؟ = الرؤية المستقبلية

كإنسانية؟ كأمة عربية وإسلامية؟ كشعب جزائري؟ كمجتمع محلي؟ وكمجتمع مزايي إباضي؟
الإقرار بأن الحق الواحد المطلق والعقل المطلق والحقيقة المطلقة عند الله، لا يستلزم بالضرورة إطلاقيته
وتوحده لدى البشر فعالمهم عالم النسبي والتعدد والتنوع والاختلاف للسبل والطرائق والمناهج للوصول
إلى نسبة أكبر من ذلك الحق والعقل والحقيقة والصبغة.

(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

(ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم)

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام...)

مراعاة طبيعة الإسلام الذي يساوي = الإنسان، فلا هو دين مادي عقلائي بحث ولا هو روحاني عرفاني
عاطفي بحث.

فالإنسان مفطور على الثنائية الخلاقة (ونفس وما سواها)، (وهديناه النجدين)، فلا إفراط ولا تفريط بل
توازن بين الروحانيات والماديات، بين المثاليات والواقعيات: فالإنسان "حيوان" لكن ناطق، أخلاقي،
غيبى، سياسى، اجتماعى، اقتصادى، طبيعى، جمالى، مفكر، مثقف...

إدراك الزمان و معرفة طبيعة العصر: حضارة صناعية لا زراعية بل تتجه نحو الحضارة فائقة التصنيع
= مجتمع المعلومات واقتصاد المعرفة.

إدراك الزمان = إدراك لحياتنا، ومن ثمة إدراك لواجبات الوقت وواجبات العصر لعدم النكوس على
الأعقاب واجترار الماضي.

أي لابد من ممارسة فضيلة الوعي بمتطلبات اللحظة التاريخية الحضارية التي تحيها الأمة والإنسانية، مع
اليقين بأن الحق منتصر بالاجتهاد والمجاهدة.

ممارسة النخبة المثقفة دور النقد المقاومة السلمية العاقلة لأي فساد وطغيان أو سلطة ظالمة (سياسية،
اقتصادية، دينية، إعلامية، قضائية، إدارية، رسمية، عرفية، محلية، وطنية أو دولية).

الالتحام بالجماهير المقصاة والمستضعفة بلا عزلة ولا ممالأة، ولا تبرير لواقعها، ولا تضليل لها، أو بيع
لأحلام.

إن المثقف الذي يدافع عن أي سلطة ظالمة لا يسحق صفة المثقف. فهو يمارس النقد حتى على فئته أي على
نفسه، وهو الوحيد القادر على ذلك.

الالتزام بمهمة أو وظيفة النخبة المثقفة هي:

- ❖ التفكير الحر لا التبرير ؛
- ❖ الاستقلالية لا التبعية والإمعية ؛
- ❖ النقد والابتكار لا المدح والتكرار ؛
- ❖ التضحية بالمصالح الخاصة من أجل المصالح العامة ؛
- ❖ إظهار الحقائق وكشف الأضاليل والتناقضات ؛
- ❖ مخاطبة العقل مع لمسة عاطفية خفيفة ؛
- ❖ المقاومة مع المقاومين ، الاستشهاد مع المستشهدين = أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ؛
- ❖ ممارسة السياسة كثقافة وأخلاقيات لا كمصدر للارتزاق محترفا الزبونية والانتهازية السلبية.
- على النخب العلمية الأكاديمية : عدم الاهتمام برصد الواقع فقط بل السعي لتغييره نحو الأفضل أي القيام بدور سياسي حضاري بناء.
- ومنه رفض الموضوعية المتلقية البغائية الخادمة للواقع المستجدية للمعلومات.
- وتبني الموضوعية الاجتهادية الجهادية التفسيرية عبر محاولة الفهم والتفلسف والتأمل والاحتكاك المستمر بالواقع.
- والتخفيف من تعاطي النزعة الأكاديمية التخصصية المسرفة في النرجسية والتجزيء للظواهر.
- عدم السقوط في الإجراءات والشكليات على حساب الكليات المبدئية ، أو التشديد على المبدئية مع تجاهل فقه المقاصد ومقتضيات المرحلة وفقه الموازنات ومراتب الأعمال وموازن القوى...
- ومن جهة أخرى ، عدم السقوط في الأدلجة والتسييس المفرط على حساب الفعالية والكفاءة والعقلانية والسياسة الرسالية العملية الجامعة بين المثالية الواقعية والمثالية.
- أولوية المؤسسات على الأفراد ومنه عدم السماح بالسقوط في الشخصانية على حساب الفكرة والمؤسسة.
- العمل على عدم تحول الهياكل المؤسسية إلى غاية بدل أن تظل وسيلة : الدولة الرستمية ، نظام العزابة..الخ
- الحذر من انطماس الفكرة التغييرية الأولى مع مرور الزمن في دوامة العمل المؤسسي البيروقراطي (يقال : تولد الحضارة في الدين وتموت في البيروقراطية).
- عدم التلكؤ والتسويق في إدخال الإصلاحات الهيكلية زمن السعة واليسر والاستقرار والتمكين والقوة وإرجائها إلى زمن الحصار والضيق والاستقرار والأزمة المستفحلة.

- تقبل فكرة التقويم المستمر للأداء الفردي والجماعي وعدم مقاومة التغيير.
(انظر محاضراتنا حول منهجية التغيير المنظمي الاستقامة 2005).
- وضع نهاية لحالة المراهقة الطويلة بسبب الجدل والمشاكسة واستنزاف الطاقة والوقوع في فخ الاستقطاب الأيديولوجي بين أنصار القديم والجديد، التقليدي والحديث، الأصالة والمعاصرة، السلف والخلف، التراث والحداثة، الشرعي والوضعي، العلماني والإسلامي، الوافد والموروث، الإسلام والآخر، وغيرها من الثنائيات حتى لا يتلوث المناخ العام للفكر والسياسة...
(ضرورة فض الاشتباك بعلم وذكاء وحكمة وسلاسة بين تلك الثنائيات).
- إذا الأمر يتعلق بحركة مستمرة لبناء الحداثة أو المعاصرة من خلال ثوابت الخصوصية الثقافية الحضارية. وهي بذلك فعل تحرير وتجديد وتطوير وتنوير وتحديث وإصلاح دائم.
إن الفعل الحضاري = تحديث + خصوصية ثقافية.
- أما الحداثة في تعريفها العام فهي :
”التجديد المستمر للتراث“ بواسطة العقل النقدي الابتكاري.
- ”لا يمكن لأي جماعة أو حركة تغييرية أن تغير منظومة القيم والمؤسسات كلياً وتبني أخرى ، حتى الإسلام لم يفعل ذلك“ .
- عدم السقوط في دوامة التقليد بإعادة إنتاج العقل المجتمعي السائد والبنية الإدراكية السائدة محلياً وعالمياً بل ينبغي التصدي لنقدهما ومحاولة تجاوزهما بالعقل الفاعل سواء في قضايا : التنمية والتعليم والسياسة والاقتصاد...
- تأكد لا أخلاقية ولا فعالية الأساليب العنيفة في التغيير في داخل وخارج المؤسسات. وتزايد الاقتناع بأهمية الحوار والنقاش الديمقراطي في التطوير السلمي للمجتمع.
- عدم إضاعة نخب جيل الخلف للخيط المؤدي إلى فهم جوهر المنهج التغييري لنخبة جيل السلف المؤسس في كل مرة، بالتركيز على جزئياته وأشخاصه ومتغيراته.
- فما هو جوهر المنهج التغييري الحضاري لنخب جيل السلف المؤسس؟
- إن جوهر المنهج التغييري للحركة الإباضية في مختلف الحقب كان بدرجات متفاوتة هو: تنشئة رجال دعوة (فكرة ورسالة)، وعلم، ودولة، مع التوجه بالعملية التغييرية إلى سائر الأمة الإسلامية (أمة الإجابة) والأمة الإنسانية (أمة الدعوة) وسواء تم ذلك بأيدٍ إباضية أو غيرها.

- مع العلم أن لكل من: الدعوة (عملية تخليق) والدولة (إدارة جهاز أو آلة) والسياسة (فن وعلم تدبير) والعلم (تساؤل مستمر) منطق ومقتضياته ومسألة التوفيق بينها ليس من السهولة بمكان لمن لا يعرف فقه المقامات.
- نهاية زمن سلطة الشخصيات الكاريزماتية وبداية زمن السلطة الديمقراطية، والتسيير العقلاني والشرعية القانونية.
- نهاية فكرة وأسلوب القيادة مدى الحياة التي عطلت الحراك القيادي والاجتماعي وسعرت صراعات السلطة داخل المؤسسات نتيجة تكلس القيادة.
- أهمية الشراكة بين المؤسسات العرفية والرسمية في دفع التنمية المحلية والتفعيل الميداني للإصلاحات الشاملة.
- أهمية التعاون بين المؤسسات العروضية الإباضية والمالكية المحلية وبينها وبين المؤسسات الحديثة في تنمية منطقة مزاب الكبرى لصالح الأجيال القادمة.
- أهمية إدراك ووعي النخب المخضرمة نهاية نمط المجتمع البسيط وبداية دخول المجتمع غط المجتمع المركب؛ ومنه تزايد الحاجة إلى العمل المؤسساتي المتخصص؛ وأهمية التعايش التنافسي والتقسيم الوظيفي للأعمال؛ أي التخصص مع التكامل مع غير المتخصص والانفتاح على الخبرات والمشاركة العامة.
- فبينما أخذ المجتمع يدخل طور النظم المركبة والمفتوحة والمتعددة الفاعلين والمتسارع التغير، إلا أن أجهزته القيادية والتنظيمية لا ينبغي أن تظل أقل تركيبيّة وانفتاحاً، مما قد يجعل المجتمع عاجزاً عن تلافي الانسدادات والأزمات المتكررة التي قد يعصف تكررها بالنظام كله.
- الواقع أننا أصبحنا إزاء نظام معقد/ système compliqué لا نظام مركب/ système complexe، مما يتطلب نظم قيادة أكثر تركيباً تحقيقاً لمزيد من الفعالية والكفاءة والتميز في أدائها.
- زيادة منسوب التخطيط والتفكير الاستراتيجي والتفكير العلمي النوايا الطيبة والإخلاص لدى القائمين على العمل الاجتماعي.
- ضرورة العمل لتغيير طبيعة ذهنية لا تزال تدير المجتمع عموماً، تتميز بشدة التركيز على أولوية العمل المباشر في التغيير على حساب العمل القائم على أولوية التفكير (معرفة، قيم، علم، معلومات، تخطيط استراتيجي، تقويم...).

- والحال أنه لابد لكل عمل اجتماعي ناجح من معرفة.
- تعزيز النزعة الإنفاقية الخيرية في المجتمع ، مع العمل على عدم اقتصار مفهوم الإنفاق الخيري في سبيل الله على بعض المجالات الحياتية ،
- مع إقامة آليات المساءلة حول مصادر ومصارف تلك الأموال الخيرية ، تحقيقا للشفافية وتدعيما للثقة وتوثيقا للشرعية.
- زيادة نسبة التفرغ في مؤسسات العمل الاجتماعي الأهلي وعدم إنفاق فضول الأوقات على المنظمات ، مع زيادة التقليل من الاشتغال بالماديات والبطنيات على حساب الفكريات والاستراتيجيات والبرامج...
- ضرورة الاقتناع بأهمية وفعالية التعددية والتنوع والتقسيم الوظيفي للأعمال كحواضر للنهوض الحضاري المعاصر والأداء الفعال والكفاءة والعمل البدائي السلمي بعيدا عن الاحتكاكات والاحتكاكات والأحادية المدمرة ووهم التماثل للتماسك الاجتماعي العام.
- العمل الجاد على إنصاف المرأة عامة والنخبة النسائية بالذات وزيادة دورها في عملية النهوض والتغيير والإصلاح محليا ، ورفع سقف مشاركتها في صناعة وتوجيه الحياة العامة.
- من مقتضيات التعاطي الإيجابي مع فرص ديناميكية العولمة والانفتاح الجاري ، تخلص النخبة الإباضية المزبانية من النزعة المحلية الشديدة والانكفاء الطائفي والوظيفية المختزلة...
- وذلك برفع القدرة التكيفية والتفاعلية مع البيئة الاجتماعية لقيادات جماعات الإباضيين المزبيين المتواجدين في الحواضر الجزائرية.
- تحفيز القائمين على التنظيمات الاجتماعية على استخدام التكنولوجيات الجديدة للاتصال كالإنترنت والأنترنيت في تطوير الأداء المنظمي بما يضمن :
 - اختزال الزمان والمكان ؛
 - تخفيض التكاليف المالية ؛
 - تعضيد ذكاء وذاكرة وعضلات الإنسان ؛

- تثوير مفاهيم وأسس التنظيم: البنية والقيادة والسيطرة والاتصال والتكيف وتبادل المنافع والمصالح والتمتع بالحرية والمرونة والاستقلالية الداخلية ضمن الترابطية والتوجيه الاستراتيجي في ظل المبادئ والقيم والمصالح المشتركة؛
- نقل التراتبية التنظيمية من غلبة النمط الهرمي - العمودي المركز إلى غلبة النمط التنظيمي الشبكي - الأفقي غير المركز، بما يتماشى مع مقتضيات "مجتمع المعلومات" و "الديمقراطية التشاركية".
- إيجاد حلول حضارية لإشكالية الشرعية والتمثيل والقيادة والمساءلة والمشاركة في صنع القرار في المؤسسات المحلية:
- سواء العرفية: عشائر، محاضر، حلقات عزابة، مجالس أعيان..
- أو الرسمية: مجالس منتخبة، إدارات محلية، أحزاب وجمعيات حديثة...
- الأخذ بفكرة وآلية: "الحكمانية المحلية".
- الحكمانية أو الحكم الراشد هي: "فن حكم المجتمعات والمنظمات".
- مؤشرات قياس الحكمانية: الرؤية الاستراتيجية، الشرعية، العدل والإنصاف والتفهم، المساواة والإدماجية، الاتجاه نحو الإجماع، الجدية، الشفافية، المساءلة، المشاركة المتساوية، حكم القانون، القدرة على الوفاء، الفعالية والكفاءة، القرب، الديمقراطية، التغيير السلمي..الخ
- التبنى الذكي الواسع لأدوات الضبط الاجتماعي الديمقراطي لسلوك الأفراد والجماعات وعدم الطمع في إمكان وفعالية العودة للأخذ من جديد بآلية الولاء والبراءة خاصة بعد أن تبينت خطورة اللجوء إلى استخدام هذه الآلية التربوية، الضبطية، سياسيا ضد الخصوم، بالإضافة إلى تقييدها الشديد للحريات الفردية.
- محاكاة النخب المسيرة للمؤسسات لديناميكية الحراك الاجتماعي برفع قدرتها على استيعاب وإدماج فئات النخبة الاجتماعية الجديدة في عمليات التغيير والنهوض من خلال ما تمتلكه من أفكار ومعارف ومصالح وحاجات، مثل فئات: الإداريين، التربويين، الصناعيين، المحامين، الإعلاميين، الأطباء، المهندسين...
- الاهتمام البالغ بالتكوين المستمر للموارد البشرية بإدارتها وتسييرها واستثمارها وتجويد خدماتها وأعمالها، إلى جانب بناء الهياكل الخرسانية بالتخطيط الموازي.
- عدم الاستمرار في استنزاف الطاقة النفسية والفكرية والسياسية في سياسة دفاعية في قضايا مثل:

- الرد على تهمة "الخارجية" واحتكار البعض والمزايد بالانتماء السني أو الوطني.
- تبرير المشاركة في الثورة والرد على حملات تشويه الرموز.
- الوقوع في فخ الاستدراج والاستفزاز من بعض المتعصبين في موضوعات شكلية تتعلق بالهوية، خاصة وأنه في سياق النهضة يطرح دائما مفهوم الهوية، وهو على درجة عالية من الصعوبة والتعقيد والحساسية...
- كما أنه من المعلوم أن تصاعد الحديث عن الهوية يتلازم طرديا مع الأزمات التي يتعرض لها الكيان الحضاري لأي أمة من الأمم أو حتى فئة اجتماعية داخل المجتمع الواحد.

أخيرا

يقول الله عز وجل: "فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" صدق الله العظيم

قائمة المراجع للاستكمال :

- رضوان زيادة، أيديولوجيا النهضة في الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، 2004، الطبعة الأولى، ص 202.